الأهرام

المصدر: الوطن القطرى

التاريخ : ١١ مايو ٢٠٠٤

أخلاق الدولة وأخلاق الحرب

فتحت صور تعذيب السجناء العراقيين في سجن ابوغريب جدالا حول اخلاق الحرب واخلاق الدولة واخلاق الحاكم لن يقفل قريبا حتى لو تكررت عبارات التأسف والاستنكار الفوقي البارد الذي يبديه المسؤولون الاميركيون والبريطانيون خوفا على المستقبل ومسالأة للرأي العام وتأخيرا لسقوط آت بلا ريب وان يكن ليس بمقدور احد منا كمراقبين ان يحدد منذ الآن مواقيت هذا السقوط.. ازمة اخلاق الحرب تصاعدت اساسا عندما سقطت في هاوية الكذب الاسود ذريعة اسلحة الدمار الشامل ثم لحقت بها سريعا ذريعة بناء الديمقراطية ودعاية نشر الحرية ومكافحة الارهاب فاذا كل هذه الشعارات تتمرغ في الوحول فلا الاسلحة المدمرة وجدوها ولا الديمقراطية بنوها ولا الحرية نشروها الا بمقدار مسافة همجية تفصل بين يد الجندية الاميركية وبين عنق اسير عراقي كانت بحسب احدى الاف الصور تجره عاريا كما تجر كلبا نافقا بعد تشرد وجوع.. لم يكن ذلك نزوة فردية وهذا ما اصبح مؤكدا من خلال ما تابعناه في وسائل الاعلام الاميركية نفسها وفي اعترافات رامسفيلد فالنزوة لا تكون منظمة ومبرمجة ولا يجري توثيقها يوميا بالصور المتتالية وهي في الحقيقة اسلوب وعقلية وتربية ونظرة عنصرية وعملية ارهاب نفسي واجتماعي تدل على اخلاق الدولة ولا تدل على اخلاق جنودها فقط.. لقد ظهرت الولايات المتحدة في العراق دولة عارية الا من القوة وهكذا ظهرت سابقا في فيتنام عندما ابادت قرى بكاملها وارتكب جنودها الفظائع كما حصل في مجزرة «ماي لاي»، وما الحديث الذي يجري اليوم عن الاستعداد لمحاكمة الضباط والعسكريين الذين ارتكبوا فظائع سجن ابوغريب سوى حديث مشابه لما جرى في محاكمات ابان حرب فيتنام اذ لم يكن القصد منها سوى امتصاص النقمة وتحسين صورة الولايات المتحدة لكن ذلك باء بالفشل وكان السقوط الاخلاقي في فيتنام واحدا من اسباب هزيمة واشنطن وهكذا سيكون الامر في العراق ولم يعد الامر في هذه المسألة محصورا برأي المراقبين والمتابعين فها هي الصحف الاميركية «الواشنطن بوست» مثلا، تحفل بانتقادات لاذعة من عدد من كبار قادة الجيش الاميركي لممارسات الحرب في العراق.

الجندي الاميركي الذي ارتكب هذه الفظائع هو جندي بلا قضية معنوية يعيش تعبئة ضد العرب والمسلمين وتفوح من هذه التعبئة رائحة النفط واسرائيل والاستعلاء والانتقام ومفهوم الجندي يشمل قاعدة الهرم ورأسه ايضا، مما يعني ان المسؤولية شاملة وان واشنطن سقطت فعليا في ازمة اخلاق الدولة وغالبا ما تقود هذه الازمة الى تمهيد الطريق لسقوط الدولة عاجلا او آجلا حتى لو خطر ببال رامسفيلد ان يستقيل لانقاذ الموقف، فالاستقالة لا تصنع براءة.

■ بسام ضو

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية